

دار المكتب المصرية

أسسها على مبارك سنة 1871. ومن يومها قامت بدور هام في حفظ تراث الأمة العربية كلها، حيث تم جمع المؤلفات المخطوطة، إلى جانب تلك التي كان قد بدأ طبعها، كما أضيفت إليها المكتبات التي أهداها إليها عدد من كبار الشخصيات أشهرهم تيمور باشا. وقد نظمت فيها عملية الإطلاع الداخلي، والاستعارة الخارجية، وكانت بالنسبة للأجيال المتعاقبة المكان الذي يذهبون إليه للحصول على المعرفة الحقيقية، ويطلعون على تراث الأجداد، وهو الأمر الذي أخرج مصر بالتدريج من (مرحلة المشافهة) المرتبطة بالجهل والإشاعات، إلى مرحلة (الكلمة المطبوعة) القائمة على التمحيص والمراجعة والنقد والتحليل. وقد تولى مسئولية إدارة دار المكتب عدد من كبار الشخصيات العلمية التي أضاف كل منها إلى المدار عملا جيدا. ويكفى أن نشير إلى ما قام به على مبارك نفسه حين خصص قاعة للمحاضرات أطلق على اسم (دار العلوم) وكان يحاضر فيها علماء أجنبية في النبات، والطبيعة، والفلك، إلى جانب علماء مصريين في الأدب والتفسير.

استحدثت دار المكتب تقليدا جيدا، يلزم كل مؤلف أو مطبعة بإرسال عدد خمس أو عشر نسخ لتوضع في المدار من أجل الإطلاع، والمتوثيق. وتطورت دار المكتب فخصصت لها مطبعة، قامت بطبع العديد من كتب التراث العربى، كان يقوم بتحقيقها عدد من كبار علماء مصر وأدبائها. وأذكر أن الكتاب الذي كان يطبع في دار المكتب كان يحتل بين المثقفين مكانة عظيمة، لأنه لم يحظ بهذا الشرف إلا بعد اختياره على نحو دقيق، ومراجعته على نحو يكاد يخلو من أى خطأ. ثم جاء اليوم، الذى توسعت فيه دار المكتب وانتقلت من مكانها التقليدى فى حى باب الخلق لتطل على النيل. وعلى الرغم من المكان الجديد إلا أنه لم يعد يستقبل الأعداد التى كانت تتوافد على المدار فى مكانها القديم (ويبدو أن المسألة مسألة عتبات!) لكن الأهم أن هناك العديد من المكتبات التى قامت إلى جوار دار المكتب المصرية، وأهمها مكتبة القاهرة ومكتبة مبارك، وكل منهما تتميز بالنظافة والأناقة والتنظيم الجيد، وقد أدى ذلك إلى ضعف شعلة دار المكتب قليلا، فلم يعد لها نفس الإشعاع القديم، ولم تعد كما كانت فى الماضى ملتقى للكتاب والأدباء والمثقفين، وتحاول جاهدة أن تقيم بعض الندوات فلا يرتادها إلا بعض موظفى الإدار مجاملة لمديرها.

ماذا جرى لدار المكتب المصرية؟ لقد جرى عليها كل ما يجرى على البيوت العريقة عندما تنطفئ فيها الروح، وتهجرها الأجيال الجديدة، ويتحول الأثاث فيها إلى كتل ضخمة يعلوها الغبار، وتتراكم فوقها ذكريات لا يرغب أحد فى استعادتها، أو الإصغاء إلى صوتها المبحوح..

وإذا كان من الضرورى الحفاظ على (دار كتب قومية) للبلد كلها، فمن الضرورى أيضا أن تنشأ فى كل محافظة، بل فى كل مدينة وحى: دار كتب مصغرة لتساعد الأجيال الجديدة على الاطلاع والتزود بالمعرفة من كنوزها.